مؤتمر الفقه الإسلامي في عالم متغير بسلطنة عمان

أ/ عاطف مصطفي

في حضور عدد كبير من العلماء والمفكرين شهدت مسقط عاصمة عمان ندوة العلوم الفقهية في دورتها العاشرة في الفترة من الخامس من جمادى الأولى ١٤٣٢هـ الموافق التاسع من إبريل ٢٠١١م وكان عنوانها «الفقه الإسلامي في عالم متغير».

وتحرص وزارة الأوقاف في السلطنة على إقامتها لإلقاء الضوء على المتغيرات والمستجدات التي تحدث في المجتمعات الإسلامية من خلال بحوث العلماء المسلمين بهدف تقديم الإسلام بصورته الصحيحة والقادرة على التطور، وذلك من أجل استخراج ما يناسب الأمة من ذلك التراكم الفقهي الإسلامي الذي تكزن منذ عهد الرسول (ﷺ)، ولكن يضيف العلماء المستجدات التي نشهدها الآن، وفي ضوء أن الفقه الإسلامي يعتبر أروع وأفضل ما أنتجته الحضارة الإسلامية، ذلك أنه نتاج تفكير عميق واجتهاد مخلص لمصدر الإسلام الأساسي القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وامتداد لاجتهاد الصحابة الذين تربوا في مدرسة النبوة، وشربوا آدابها وأخلاقها ووسطيتها ورحمتها واعتدالها وتكافلها وتفكيرها وتوجيهها.

وعلى هذا الدرب اعتادت ندوة تطور العلوم الفقهية بسلطنة عمان أن تقدم وعلى مدى عشر لقاءات المزيد من الأفكار والحلول لتواكب تطورات العصر، ولتأخذ من أنوار الماضي ما تستضئ به في حل المشكلات التي تواجه المسلمين الآن.

حلول للقضايا المعاصرة:

وفي الجلسة الافتتاحية ألقي سماحة الشيخ أحمد الخليلي مفتي عام سلطنة عمان كلمة أشار فيها إلى أن الإنسان - إنسان هذا العصر - هو أحوج ما يكون إلى أن يستلهم كل ما يواجهه في هذه الحياة من عند

الله - سبحانه وتعالى - يرجع بالحل الأمثل، إذ الله سبحانه وتعالى هو الذي أنزل هذا الذكر وهو الذي يعلم السر في السماوات والأرض، وفي كل عصر من العصور تتجلى آيات الله سبحانه فيما أنزل.

وقد كنا نتصور أن قوله سبحانه وتعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ*سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت ٥٢- ٥٣].

يؤول إلى الاكتشافات العلمية وحدها، وأصبحنا الآن - بجانب ذلك - ندخل فيه قضايا البشرية وحلول مشكلاتها، فهذه الإنسانية اليوم تعاني ما تعانيه من الويلات بسبب بعدها عن منهج الله سبحانه وتعالى، وأصبح الذين كانوا أشد عداء لهذا الدين، وأكثر الناس صدا عن هذا القرآن، يحنون ظهورهم ويطأطئون رءوسهم أمام الحل القرآني الذي جاء من عند الله .. فهذه المشكلة الاقتصادية الطاحنة التي يرزح العالم تحت نيرانها أصبح الكل يدرك أنه لا حل إلا بالرجوع إلى هذا الكتاب العزيز واستلهام الرشد منه.

العقل وحاجته لمدد من عند الله:

وأضاف الشيخ أحمد الخليلي: والإنسان مهما أوتي من طاقة عقلية، فإن هذه الطاقة محدودة بحدود القدرات البشرية، إذ لا يمكن أن تستوعب كل مشكلة من المشكلات فتعطى الحل لها، إذ العقل يتأثر بالمؤثرات الكثيرة

البيئية والنفسية والاجتماعية، ومع هذا أيضا هو - كما قلت - كسائر الطاقات تغشاه غواش من الهوى، وتؤثر عليه مؤثرات شتى، لذلك كان هذا العقل بحاجة إلى مدد من عند الله سبحانه وتعالى.

وقد أنزل الله - تعالى - كتابه تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين.

وشدد على المسلمين الذين أنعم الله عليهم بهذا الكتاب أن يحرصوا على تدارسه والرجوع إليه لحل المشكلات في هذا العالم المتغير، هذا العالم الذي يتكشف فيه كل يوم جديد من أنواع القضايا التي تحتاج إلى دراسة جديدة .. هذه الدراسة لا تكون إلا بالرجوع إلى مصادر التشريع (كتاب الله وسنة نبيه وإلى ما أجمع عليه السلف الصالح)؛ فإن منها القواعد الكلية التي تفرز جزيئات شتى فيها الحلول لهذه المشكلات المختلفة، وإنما يستلهم ذلك كله العلماء الربانيون الذين درسوا هذه الشريعة، وغاصوا فيها وفي أعماقها وسبروا أغوارها وأبعادها، فإنهم القادرون على حل هذه المشكلات.

واختتم كلمته قائلا: من المعلوم أن الإنسان مهما أوتي من طاقات عقلية وفكرية وملكات فقهية وعلمية، إلا أنه يبقي بحاجة إلى غيره.

فالإنسان قليل بنفسه كثير بإخوانه؛ لذلك كان اجتماع لفيف من العلماء من أجل تدارس هذه المشكلات، وإعطاء الحلول لها هو الأمر الذي جعل الله سبحانه وتعالى فيه الخير لهذه الأمة، فما أحوجنا إلى أن نتابع هذه الجهود دائما.

تجديد الخطاب الديني:

وبين الدكتور سالم بن هلال مستشار وزير الأوقاف والشئون الدينية في كلمته إلى أن ما يشهده العالم من تغيير وكل يوم يمر شاهد على هذه الأمة، فلا صوت يعلو إلا صوت العقل.

وشدد على دور العلماء لتبصير الناس لخير مستقبلهم ولتوضيح مبادئ الدين لهم ولغرس سماحة الإسلام فيهم ولتعريفهم بالحقوق والواجبات.

كما طالب المؤسسات الفقهية ومجامعها بالقيام بواجبها من خلال ما تتوصل إليه من قرارات تسهم في بلورة الخطاب الديني لمراحله المستقبلية، وتروى ظمأ المجتمع المتعطش إلى ما يزيل عنه لبس أحداثه، وما يرشده لخير دينه ودنياه.

وأكد الدكتور سالم أن الأحداث في عالمنا المتغير أهمية تتحقق بها أهداف تلك المجامع، وأن يصل علماؤها إلى رأى جامع فيما استجد، فإن ذلك أدعى إلى تهدئه الأوضاع واستقرار الشعوب وطمأنة المجتمعات، وسلامة الأمة.

إعمال العقل الاجتهادي:

وأشار إلى أن وزارة الأوقاف العمانية قد سعت منذ تأسيس هذه الندوة عام ٢٠٠٢ إلى تقريب الفكر الإسلامي والإسهام في جمع علماء الأمة كل عام، لإعمال العقل الاجتهادي في نوازل الساحة الإنسانية، تحقيقا لغاية تجديد الخطاب الديني ونشر الوعي بين العالمين، ووصلا بين المسلم ودينه وواجبة، ابتغاء لمرضاة الله وتلبية للواجب تجاه الأمة، ورغبة صادقة في صون تراثنا الإسلامي، وإضافة جديدة لعلومنا ومعارفنا الشرعية، فضلا عن مناقشة الأحداث المتغيرة في العالم ورصد تلك المتغيرات التي تربط بين الماضي والحاضر.

بحوث ضافية:

وقد ناقشت الندوة على مدى أربعة أيام قرابة الأربعين بحثا شملتها سبعة محاور، كان من بينها بحث للدكتور محمد جوماز رئيس الشئون الدينية

بمجلس الوراء التركي بعنوان «فقه الثوابت بين التأصيل النظري والتطبيق العملي»، وبحث بعنوان « التجنيس والهجرة بين التراث الإسلامي والواقع العالمي»، وبحث للدكتور محمد كمال أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة الإسكندرية بعنوان « القواعد الحاكمة لتغير الفتوى في الزمان والمكان والأشخاص والبيئات وقد استشهد في بحديث ورد في مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «كنا عند النبي (ﷺ) فجاء شاب فقال يا رسول الله أقبل وأنا صائم؟ قال: لا وجاء شيخ فقال: يا رسول الله أقبل وأنا صائم؟ قال: نعم فنظر بعضنا إلى بعض فقال صلى الله عليه وسلم قد علمت نظر بعضكم إلى بعض. إن الشيخ يملك نفسه».

وعلق د. محمد كمال على هذا الحديث بقول: هذا الحديث أصل في باب تغير الفتوى بتغير حال الشخص.

ثم استشهد بحديث آخر روي عن أَبُو عَاصِمٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِى عُبَيْدٍ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ قَالَ قَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم « مَنْ ضَحَّى مِنْكُمْ فَلاَ يُصْبِحَنَّ بَعْدَ ثَالِثَةٍ وَفِى بَيْتِهِ مِنْهُ شَىْءٌ» . فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَفْعَلُ كَمَا فَعَلْنَا عَامَ الْمَاضِى قَالَ « كُلُوا وَأَطْعِمُوا وَادَّخِرُوا فَإِنَّ ذَلِكَ الْعَامَ كَانَ بِالنَّاسِ جَهْدٌ فَأَرَدْتُ أَنْ تُعِينُوا فِيهَا » .

وفي بحثه المستفيض تناول د. إمام عدد من النقاط نذكر منها العرف وقواعده في تغيير الفتوى – المصلحة وقواعدها في تغيير الفتوى – قواعد تغيير الفتوى في الظروف الاستثنائية.

الفكر المعتدل في القضايا المستجدة

وقد أصدرت الندوة توصيات عديدة نشير هنا إلى بعضها:

- أهمية دراسة الفقه المقارن لما يؤكده من تداخل المدارس الفكرية المختلفة، والاتفاق على كثير من القضايا المتغيرة، وبذلك يتم التعرف بين مختلف المذاهب، مبلورا فكرا معتدل للنظر في القضايا المستجدة بعد الرجوع إلى مصادر الشريعة وقواعدها وضوابطها العامة.
- لابد من تمكين الفقه من التعامل البناء مع المتغيرات من خلال الاجتهاد في التوازن، وإظهار مقدرة الإسلام وعلمائه على مواكبة مستجدات العصر، وتنقية فقه المذاهب، والفقه المقارن من كل الآراء التي لا تلائم العصر والظروف المحيطة به في إطار سماحة الإسلام.
- دعوة علماء الفقه الشرعي وعلماء القانون إلى الاجتماع لصياغة اللوائح المنظمة للعمل في القضايا المتغيرة.
- إعادة النظر في ترتيب الأحكام الشرعية والتسلسل الهرمي للقيم وقائمة الحلال والحرام، مما يحتم على أرباب العلم وأصحاب الفقه أن يركزوا بمساعيهم على القضايا الحيوية والمصيرية، وينأوا بأنفسهم عن بعض المسائل الفرعية، التي قد تفضي إلى الفرقة والتشرذم.
- ينبغي العمل على ربط المجامع الفقهية في العالم بشبكة اتصال لتكوين مجلس أعلى للمجامع الفقهية كلها، لتحديد منهج الاجتهاد لما قد يطرأ في عالمنا المعاصر والتطور السريع الذي نشهده وضرورة التنسيق والتوافق بين قراراتها.
- العمل على تنقية المواقع الإلكترونية وخطر الضار منها بالمجتمع التي

تعمد إلى إفساد أخلاق الشباب وترغيبهم في ارتكاب الجرائم، مع قيام المربين والمعلمين ببيان خطر هذه الجرائم والتحذير منها، وتنمية الشعور بمراقبة الله تعالى في السر والعلن.

- إن حرية تداول المعلومات جزء من حرية التعبير التي كفلتها الشريعة الإسلامية، لذلك يجب أن تؤسس على مبادئ هذه الشريعة بضوابطها وقيودها ضرورة الدقة والتثبت في نقل المعلومات وعدم وقوع الضرر بتداولها، وسن قوانين منبثقة من هوية الأمة تنظم ذلك. العمل على الأمن والاستقرار في البلاد الإسلامية

***